دراسة وتحقيق لكتاب: (تعاظم الموجين)

د/ عمر بن إسماعيل آل حكيم

كلية العلوم الإسلامية -جامعة الجزائر1

(**تعاظم الموجين**): هو كتاب في المنطق وفي فلسفة اللغة وفي الفلسفة الإسلامية، ويتضمن مسائل في العقيدة وعلم الكلام وفي اللغة والبلاغة وفي التاريخ، وغيرها.

إنه كتاب غير متوفرة نسخه المخطوطة الأمر الذي دفع الباحث إلى التعجيل بإنقاذه من عاهات الدهر، وتقلبات الزمان.

ألفه الشيخ عبد العزيز الثميني في مقتبل حياته التأليفية، بعد كتابه: (النيل)، وقبل كتابه: (معالم الدين)، ألفه وشيخه أبو زكريا على قيد الحياة، ولمكانته عنده أحال إليه في مختلف مصنفاته اللاحقة. إنه كتاب يُظهِر ضياءَ الدين عبدَ العزيز الثميني بوجه آخر غير الذي يُعرَف به فقيها، إنه الثميني اللغوي والمنطقي والمتكلم الفيلسوف.

إن (تعاظم الموجين) يحتوي كتابين لعلَمَيْن عالمين جزائريين، الثميني والوارجلاني، وهما من الركائز الأساسية في الفكر الإباضي مشرقا ومغربا،

فالثميني والوارجلاني علمان من أعلام الجزائر، لم ينالا بعد حظهما من الدراسة، وهما ممن لهم الأثر في ما لحق من التطور الفكري والاجتماعي في البيئة التي عاشا فيها، وفي غيرها من العالم الإسلامي.

أهمية الموضوع:

إن الألفاظ والمعاني في علم المنطق محل الدراسات المختلفة عبر العصور، وإنها وإن كَثُرَ تناولها عبر الأزمان وبكل اهتمام، فإنها تزداد قيمتها بدراستها في علم المنطق، والبلاغة، والنحو لأنها علوم هي أس التفكير وأس التعبير.

إن موضوع الكتاب يصنف ضمن المنتوج العقدي والفلسفي في الفكر الإسلامي، وإن الفلسفة الإسلامية بمفهومها العام بحاجة إلى الكشف عن الذين

أدلوا بدلوهم فيها وهم أقرب إلى الفكر الإسلامي ومنابعه، إن لم يكن ذلك زمانا، فتداولا ونقاوة، وإنه مهما كان بمنتوجهم الفكري من مؤثراتٍ خارجيةٍ، فهي مؤثراتٌ يسهل الانتباه إليها ودراستها، الأمر الذي يدفع للكشف على عجل عن أي منتوج سابق حتى يكتمل البناء الفكري والحضاري وتتواصل حلاقته من غير انقطاع.

وإذا كانت المادة الأساسية في الكتاب المخطوط هو الألفاظ والمعاني، كما عبَّر عنه صاحب المتن: (مرج البحرين): أبو يعقوب الوارجلاني، فإنه بها يكون موضوعًا جليلاً، وتتأكد عملية إبرازه وإظهاره إلى الدارسين، لتسليط الضوء عليه بالتحليل والنقد وإبراز مواطن القوة ومواطن الضعف فيه.

ونظرا لأهمية الموضوع فإن دراسات سابقة كانت في (اللفظ والمعنى) من أيام سقراط وأرسطو، وكان للمسلمين فيها دور مهم، حتى كانت المناظرة بين النحويين والمنطقيين شائعة في المحافل الفكرية، مثل التي حصلت بين السيرافي (ت: 368هـ) وأبي بشر متى بن يونس (ت:328هـ).

وإنه مهما تقدم البحث في العلوم المنطقية، وبلغت مرحلة الرمزية، فإنه لا يستغنى عن الألفاظ في الدلالة على المعاني، مما يجعل الوارجلاني محقا حين يقول:

"اكتنف هذا الخلق بحران عظيمان زاخران لجيان: بحر الألفاظ والكِلَم، وبحر المعاني والحِكَم"، الأمر الذي جعل الثميني يفصّل القول، ويثير الأمواج بين البحرين: بحر الألفاظ وبحر المعاني.

بعض مصادر كتاب: (تعاظم الموجين):

فقد أخرج الثميني زبدة من ألبان أمهات الكتب، بعد أن تدافعت عقول أربابها في مسائل من علم البيان ومن علم المعاني، منهم الشيخ عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في (دلائل الإعجاز)- والشيخ سعد الدين التفتازاني (ت: 792هـ) في (المطول)- والشيخ السكاكي (ت: 626هـ) في (المفتاح) - والسيد الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) في حواشيه على (المطول) وعلى (المواقف)- وأبو يعقوب الوارجلاني (ت: 570هـ) في (الدليل والبرهان)، وفي (العدل والإنصاف)- والبرادي (ت: 810هـ) في شرحه على (العدل والإنصاف)- وأبو عمار عبد الكافي (ت: قبل 570هـ) في (موجزه) وفي شرحه

لـ: (الجهالات)- والبيضاوي (ت: 685هـ) في (طوالعه)، وشرحه للأصفهاني (ت: 749هـ)- وسراج الدين الأرموي (ت: 682هـ) في (مطالعه) وشرحه للقطب الرازي (ت: 766هـ)- والكاتبي القزويني (ت: 739هـ) في (الشمسية) وشرحها للقطب الرازي (ت: 766هـ)- والتفتازاني (ت:792هـ) في (التهذيب) وشرحيه: للحفيد السعد (ت:906هـ) وللدواني (ت:907هـ)- وغيرهم.

لقد تعانق الثميني في أبحاثه مع بعض فطاحل وصناديد العربية والبلاغة وأرباب المنطق والكلام في العالم الإسلامي، وناقش ووافق واختلف في القضايا المتعددة لغة ونحوا وبلاغة ومنطقا وكلاما....

كل ذلك يدفع الباحثين إلى دراسات ومقارنات عززت نتائجها في الفكر وتطوره...

إنها مطارحات علمية حول الألفاظ والمعاني وحول دلالات التركيب فكان ما جاء به ذا طعم ومذاق يختلف كل الاختلاف عما كان في الأصول وما كان في المصادر.

الهدف من الدراسة:

إن الدراسة هذه تهدف بالدرجة الأولى وأساسا إلى إخراج مخطوط (تعاظم الموجين) لتداوله بين أيدي الدارسين والباحثين على أن يكون إخراجا وفق ما أراده مؤلفه، وبذلك يتم إنقاذ ثروة علمية، وتوفير مادة زاخرة، يتناولها الجميع.

فالدراسة والتحقيق إحياء لمخطوط من التراث، غايته الدفع إلى مدارسة الكتاب ونقده واستخراج جوانبه الإيجابية وجوانبه السلبية، والوصول إلى إدراك المساحات المضيئة والمساحات المعتمة فيه، مساهمة في خدمة الحاضر وتوجيه المستقبل.

إن مادة الكتاب متشعبة المحاور، متشابكة العناصر، منها ما تجاوزها الزمن، يصعب فكها في هذه الخطوة الأولى والأساسية (الدراسة والتحقيق)، إلا أنها خطوة الانطلاق في الدراسات المختلفة حول مضمونه، وحول شخصية مؤلفه، وحول مدرسته الفكرية والعقدية، من مختلف مواقع فروع المعرفة: عقيدة، ولغة، وفلسفة، وفلسفة لغة، وفلكا، وتاريخ علوم وغيرها.

لقد مهَّدَت الدراسة السبيلَ للباحثين والدارسين: بتعريف مؤَلِّفه ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وبعرض جانب من منهجه في الكتاب، وبوصف بعض من مصادره الأساسية، وبالإشارة إلى بعض من مسائله، وهي - وغيرها - مسائلُ صالحةٌ لبحوث علمية مركزة.

الخطة المستعملة في البحث:

قُسم البحث قسمين: 1) قسما للدراسة و2) قسما للتحقيق.

قِسْم الدراسة قُسِّم **خمسةَ فصول**.

<u>الفصل الأول: الورجلاني وكتابه (مرج البحرين)،</u> وجزئ إلى مبحثين:

الأول: كان للورجلاني حياة وآثارا، وفيه عَرْض لجانب من حياة الوارجلاني: نشأة وتعلما وأسفارا وتصنيفا.

والثاني: كان لكتابه (مرج البحرين)، وفيه تم الحديث عن قيمة الكتاب، وعن تسميته، وموقع موضوع الكتاب: (الألفاظ والمعاني) عند الوارجلاني، وأهم الأعمال التي حوله.

<u>والفصل الثاني</u> خُصِّص لـ: **(الثميني حياة وآثارا)**، فكان الحديث عن حياة الثميني، وعن آثاره بالتفصيل، حيث إن كتاب: (تعاظم الموجين) الذي ألفه الثميني هو أس الدراسة والتحقيق، فقُسِّم مبحثين، المبحث الأول: لحياة الثميني: نسبا ونشأة ومساهمة في العمل الاجتماعي، والمبحث الثاني: لآثار الثميني: تأليفا ومنهجا ومساهمات فكرية مختلفة.

وخُصِّصَت الفصول التالية **لكتاب: (تعاظم الموجين)**، موضوع الدراسة والتحقيق.

فكان **<u>الفصل الثالث: كتاب (التعاظم) دراسة تمهيدية</u>**، قُسم مبحثين: المبحث الأول: لنسخ الكتاب المخطوطة وما تعلق بها، والمبحث الثاني: للمنهج المتبع في التحقيق.

وكان **<u>الفصل الرابع: كتاب (التعاظم) دراسة وصفية</u>**: لمضمونه، ولمصادره. وقُسِّم مبحثين: الأول: لمضمون الكتاب، وفيه عُرِضت محاور الكتاب، وفيه تمت معالجة مسألة توقف الثميني عن الشرح قبل الوصول إلى النهاية في المتن. والثاني: خصص للتعريف ببعض أهم مصادره.

وكان **الفصل الخامس** وهو آخر فصل بعنوان: **كتاب (التعاظم) دراسة تحليلية**، وفيه كان الحديث عن: منهجه، ومسائله، ومكانته.

قُسِّم ثلاثة مباحث: **الأول**: خصصه الباحث لعرض طريقة الثميني في التأليف، ومنهجه في مادة (التعاظم).

و**الثاني**: عَرَض فيه بعضَ المسائل الواردة في الكتاب نموذجا وفتحا لشهية الباحثين والدارسين.

و**الثالث**: اجتهد فيه لإعطاء صورة عن مكانة الكتاب عند صاحبه بصفة خاصة، وفي المعرفة الإنسانية بصفة عامة.

وخُتِمَت الدراسة بحوصلة لأهم ما تم التوصل إليه.

أما **قسم التحقيق فخصص لكتاب الثميني: (تعاظم الموجين)**،

- قُدّم بصور النسخ المعتمدة، - وبقائمة للرموز المستعملة. - وختمت الدراسة والتحقيق بفهارس مختلفة، عددها عشرة.

المنهج المتبع في التحقيق:

اعتمد الباحث قول القائلين في مجال التحقيق بأن: (عِلْم التحقيق هو إخراج المخطوط كما وضعه صاحبه، دون نقص أو زيادة، مع وجوب العمل في الإحالات بالمقابلة والمقارنة دون إكثار الشرح والتعليق في الهامش).

لقد سلك هذا المنهج ملتزما بإخراج المخطوط إلى الدارسين للنقد والتمحيص.

أ - المنهج المتبع في المتن:

- استخرج نص المتن من ثنايا شرح (التعاظم).
- ثبت نص المتن (مرج البحرين)، وفق ما جاء في مخطوط (تعاظم الموجين) الذي اعتمد هو نفسه على عدة نسخ، مع استئناس بما جاء في النص المطبوع من قبل (وزارة التراث القومي والثقافة) بسلطنة عمان.
- وضع نص المتن (مرج البحرين) بخط غليظ يختلف عن خط الشرح (تعاظم الموجين) تمييزا له وتسهيلا للوصول إلى الفائدة المرجوة منهما.
- شُكِّل النص (مرج البحرين) إمعانا في تمييزه، وتسهيلا للتفريق بينه وبين الشرح.

ب. المنهج المتبع في الشرح:

- استُعمِلت ثلاث نسخ:

- الأولى: التي بخط (المؤلف) رمز لها بالحرف (أ).

- الثانية: التي بمكتبة (الحاج صالح لعلي ـ ببن يزجن)- الجزائر، رمز لها بالحرف (ب).

- الثالثة: التي بمكتبة (وزارة التراث القومي والثقافة ـ بسلطنة عمان)، رمز لها بالحرف (ع).

- جُعلت المخطوطة التي خَطَّها المؤلف بيده، والتي رمْزُها < أ > هي الأصل، وعليها تمت مقارنة المخطوطتين: < ب > و< ع >.

- فُصِّل النص فقرات، ووضعت علامات الترقيم، ووضعت عناوين بين معكوفين، وبخط غليظ.

- خُرِّجت الآيات القرآنية وخرجت الأحاديث والأبيات الشعرية والنصوص التي أمكن الوصول إليها.

- وُضعت رموز مسَهِّلة للعمل، بعضها يخص قسم الدراسة، وبعضها يخص قسم التحقيق، ووضع كشف توضيحي في بداية كل قسم لفكِّها عند الحاجة.

لقد التزم الباحث بإخراج النص إلى التداول وهو الهدف الأساسي من الدراسة خاصة بعد أن ناله ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ـ ابتلاءٌ من المولى جل وعلا أوقفه عن العمل لمدة من الزمن قربت من الأربع سنوات.

بعض النتائج المتوصل إليها:

- إن العمل هذا مساهمة في الربط بين الماضي والحاضر، ولا يَصنعُ المستقبلَ إلا حاضرٌ مرتبطٌ بماض يستشرف المستقبلَ ويتطلع إلى غدٍ أفضل وأسلم وأكمل.

- إن الثميني والوارجلاني علَمَان بارزان في الفكر الجزائري، وفي الفكر الإباضي، وفي الفكر الإسلامي، يستدعيان من الباحثين والدارسين مزيدا من الاهتمام.

- إن الورجلاني أحدُ الأولين الجزائريين الذين انشغلوا بعلم المنطق-إن لم يكن الأول-، وذلك لاحتكاكه بالثقافة الفلسفية بالأندلس في النصف الأول من القرن

السادس، حتى إن الدكتور أبا القاسم سعد الله غفل عنه ولم يفرد له حديثا في كتابه التاريخ الثقافي الجزائري، لولا ورود اسمه فيه مرة واحدة عرضا.

- إن الثميني في كتابه: (تعاظم الموجين)، قد مسَّ مسائل هي في الدراسات المعاصرة من (فلسفة اللغة)، قد عالجها كما عالجها العلماء المسلمون السابقون، فهي من المباحث المعاصرة في الدراسات المنطقية تغوص في المعنى، وتحتاج من المتخصصين تكثيفَ الدراسات فيها.

- إن مؤلفات الثميني والوارجلاني نموذج في تلاقي المدرسة الإباضية والمدرسة الأشعرية، وهي بوثقة لتلاقح فكر المدرستين، فأنتجا نتاجا خصبا يخدم الفكر في الاتجاهين: نحو الداخل: يخدم الفكر الإباضي، ونحو الخارج: يخدم الفكر الإسلامي.

- إن التكامل في الفكر الإسلامي بين مدارسه المختلفة هي المساعدة لردم الهوة التي تبقى الحاجزَ والمانعَ من أن تستفيد كل المدارس وكل الاتجاهات من بعضها، خاصة وأن أعداء الإسلام على قدم وساق لتمزيقها.

- إن الدراسة هذه تدفع إلى دراسات متعددة حول كتاب: (تعاظم الموجين) منها:

✓ البحث عن أثر الكتاب في مؤلفات الإباضية اللاحقة، وأبعاد ذلك التأثير.

✓ إقامة دراسات نقدية عميقة مقارنة بين ما جاء به الثميني في الكتاب وبين ما في مصادره لاكتشاف ما أضافه الثميني في كل مسألة.

✓ إعداد دراسات في فكر الثميني والوارجلاني، وأخص بالذكر هنا الوارجلاني من خلال مسائل متخصصة، إذ لّما يلتفت إليه الالتفاتة المطلوبة قياسا إلى موقعه في عصره، وقوة فكره، وغياب آثاره.

✓ الوصول إلى شرح أبي العباس أحمد الشماخي (ت:928هـ) لـ: (مرج البحرين)، الذي تمنى الثميني الوصول إليه، لكنه صرح في النهاية أنه مفقود.

✓ تكثيف الجهود - أفرادا ومؤسسات - للوصول إلى التراجم المشار إليها باللغات الأجنبية حول كتاب: (مرج البحرين)، أو(الدليل والبرهان).

✓ إعداد بحوث حول مادة الكتاب: (تعاظم الموجين) من خلال فنون مختلفة: ـ علم الكلام ـ تاريخ العلوم ـ دراسات في المنهج ـ دراسات في العلوم اللغوية: (النحو، البلاغة، المنطق..) ـ مقارنات مختلفة، إلى غير ذلك.

- إن الدراسة هذه تدفع إلى إقامة دراسات حول فكر الأعلام الواردة أسماؤهم في كتاب (تعاظم الموجين)، كالقيام - مثلا - بدراسة حول:

✓ منهج القطب الرازي في شرحه (مطالع) الأرموي.

✓ ومنهج الأصفهاني في شرحه (طوالع الأنوار) للبيضاوي.

✓ وكدراسة مناهج شروح (التهذيب)، ومناهج شروح (الشمسية).

✓ والقيام بمقارنة ما جاء به الثميني نقلا عن السيوطي على ضوء علمي: التاريخ والآثار. للوصول إلى الحقائق في الموضوع، وتسليط الضوء على المصادر التي بها وصلت إلينا تلك المعارف نقدا وتمحيصا، من حيث المنهج ومن حيث المادة.

- **إن ما جاء في كتاب:** (تعاظم الموجين) يدفع إلى الاطلاع على الجديد في المعارف المختلفة. ولا بأس أن نشير إلى خلاصة ما توصلنا إليه، وهي ضرورة الربط بين الدراسات القديمة والدراسات الحديثة للوصول إلى الحقيقة في المعارف البشرية. من ذلك مثلا:

✓ أن السماوات السبع والأراضين السبع مسألة فيها أقوال قديمة، وفيها نظريات حديثة، وقد لا تكون هي الحقيقة، وإن الاكتشافات المعاصرة فلكيا لا تزال تتجدد، آخرها مراجعة عدد كواكب المجموعة الشمسية، واكتشاف كواكب تقترب في الشبه من كوكبنا الأرضي.

✓ **ومن ذلك:** أن الأسبوعَ ورد في كتاب: (تعاظم الموجين) ستةُ أيام، لم يرد فيه ذكر ليوم (السبت)، ومن الدراسات المعاصرة في الموضوع نظرية تذهب إلى أن الصوابَ في أيام الجمعة ستةُ أيام، وما تحديد أيام الأسبوع إلا اجتهاد بشري كان عبر التاريخ، متطورا عبر مختلف الشعوب.

لقد كان الهدف الأساسي من الدراسة أن يَخْرُج النّصُّ إلى الوجود فهو القاعدة الصلبة التي تُبنى عليها دراسات وأبحاث من بعد، - من مختلف فروع العلوم الإسلامية والإنسانية - في فكر الثميني بصفة خاصة، والفكر الجزائري بصفة عامة، بل في فكر المدرسة الإباضية بصفة خاصة، وفي ساحة الفكر الإسلامي بصفة عامة.